على هامش كتاب عبقرية محمد

في مجلس الأستاذ

« أبي الوفاء الشرقاوي »

[مهداة إلى الأستاذ الكبير عباس محمود العقاد]

للأستاذ محمد حسنين مخلوف

آذنت الشمس بالمغيب ونحن في حضرة الأستاذ أبي الوفاء الشرقاوي يحدثنا فننعم بسحر البيان ، وعذوبة النغم الموسيقي ينبعث من قلبه المطمئن ، ويتنقل في أبراج الفكر كما تجري الشمس في مسارها المقدر منذ الأزل وإلى الأبد ، رتيبة الحركة ، رصينة الخطوة ، فيبعث في القلوب حرارة الإيمان ، ويهبها نفحة من سر الوجود ، ويضفي عليها من نعيم الأمل أشعة مضيئة قوية . وأشرقت نفسه العالية ، وانطلق لسانه الفصيح ، وضاء جبينه الأسمر المريض ، بنور العقل القوي النادر ، وراح يترسل ويتبسط وهو يمد يده للصفي الحبيب[1] يتناول الكتاب الجديد[2] . ودار الحديث حول المؤلف الموهوب صاحب القلم الجبار ، عدة العقل الشرقي وذخره في ميدان المنطق والبيان .

قلت : لقد كان دعاء النبي صلى الله عليه وسلم : « اللهم أعز الإسلام بأحد العمرين » وإن لهذا الكتاب في النفس فرحة ، كفرح المسلمين بعمر بن الخطاب ...

قال الإمام : — بعض هذا . ولنجعل كتابه فيصلاً — أرأيتم قصة شيخ جليل كان يرشد ويعلم ، وكان له تلاميذ ومريدون ، وكان من أحبهم إليه شاب صاحب علم وقلم ، وفلسفة وبلاغة ، كتب في قصة آدم عليه السلام رسالة لطيفة ، حتى إذا أتمها مضى بها إلى الشيخ يستأذنه في قراءتها ، فأذن له ... وجلس الشيخ يسمع والمؤلف يقرأ ... وكانت العبارة عالية ، والأسلوب خلاباً . ومضت آيات الإعجاب الشديد تتدفق من فم الشيخ عند كل مقطع . فهو لا يخفي سروره ولا يكتم طربه من قوة السبك وإشراق الديباجة ، ويهز رأسه ويدق كفاً بأخرى وهو يقول : « الله الله يا شيخ علي » وكان هذا اسم المؤلف « إن من البيان لسحراً يا شيخ علي » « هكذا العلم يا شيخ علي » واتصلت حلقة الإعجاب وتدفق الشيخ علي يتابع فصول الرسالة تلاوة حتى جاء ذكر الشجرة والثمرة ... فوصف الأمر بأنه معصية من آدم عليه السلام — وكان هذا يخالف ما يراه الشيخ الجليل — فإذا به يستمر في هز رأسه هكذا وفي دق كفيه هكذا ويصيح : « كفرت يا علي »

وطوى الشاب رسالته وعاد بها إلى حيث لا يعرف الرواة مصيرها ...

* * *

وقام الإمام من المجلس وبقينا نحن لنقضي السهرة ، وكتاب العقاد سميرنا المؤنس ، نستروح نسمات الروح الأمين من ثنايا السطور والكلمات . وقد تحلقنا حول الشملة الوهاجة المنبعثة من « عبقرية محمد » عليه السلام .

وايم الحق لقد كانت براعة العقاد بما صورت من عظمة العبقرية المحمدية في بلاغة معجزة ، ومنطق قوي ، وعلم غزير . تأخذ بمجامع القلوب وتنكشف عن شخصيته الفذة

* * *

ولما كنا من غدنا لقينا الامام في مجلسه وقد عاد يحنو على «عبقرية محمد» عليه السلام وتبدت في وجهه الوسيم تباشير الرضا . وعدنا نصل حديث الأمس فقلنا : وكيف حال صاحبنا ؟ !

قال الامام : لقد جاوز الشجرة والثمرة ... وإذا كان للقصة أن تعود. « فالله الله يا عقاد ! »

قلنا : لقد جعل المؤلف فساد المجتمع والبيئة والخلق وطغيان الشهوات واستشراء الضلال وانحلال الوشائج ، كل أولئك إلى لهفة العقول على مخرج من ظلام الجاهلية وانحطاط الوثنية وشعوذة الكهان ... مدعاة لتوقع رسالة نبي ، أو هي إرهاص بمقدمه ...

قال الإمام : إنه لحق . وإنه لنظر سديد ومنطق سليم . كان التوفيق رائد العقاد في تصويره وعرضه . وإنه ليحاصر شرود

(١) هو الشاعر الصدق الأديب الشيخ حسن القزالي

(٢) كتاب عبقرية محمد للأستاذ عباس العقاد

العقل بقوة الحجة ، ويأخذ عليه المسالك ببراعة خلابة ، كمهندس عبقرى يوافيه السيل بالماء العمم فلا يزال به يجمعه ويركزه ويشق له المجرى العميق المستقيم ، فيسيطر عليه ويحقق آية الله فى إرساله .

لقد بلغ المؤلف هنا غاية الروعة العقلية ، وذروة القوة المنطقية

قلنا : أو نقيس فساد الماضى بفساد الحاضر ؟ وضلال العقل الوثنى الذى كان يعبد الحجر والحيوان ويهيم فى فيافى الظلام بين شهوة وقوة وفتنة .. بضلال العقل الوثنى اليوم الذى يقدس الشهوة، ويتعبد بالرذيلة ، ويهيم فى فيافى الظلام بين مادية وقسوة وفتنة ؟ !

قال الإمام : إذا أغفلنا الفارق الجوهرى بين الحالين جاز لنا أن نعقد القياس بينهما ... ولكن إذا كانت البصيرة مشرقة والمحاجة بريئة والفهم مستقيما لم يقع هذا ... فهم فى الماضى كانوا فى حيرة مرهقة ... مرضى ينقصهم طبيب ودواء ؛ ولكنهم اليوم مرضى لديهم الطبيب والدواء . وإنما ينقصهم عقل رشيد وإدراك سليم

قلنا : وهل لنا أن نسأل : « وأين النبى المنتظر ؟ ! »

قال الإمام : كيف السؤال ؟ ! عند ما كان النهر يجرى دافقاً سيالاً يحمل الخصب والنماء ، تركوه ينحدر إلى البحر ويتلاشى بين أمواجه . فلما تكشفت عنهم غاشية الجهل ، واستيقظت فطرة الإدراك ، عرفوا نظام الرى والزراعة ؛ ولما تدرجت فطرة الإدراك فى مراقى الكمال عرفوا كيف يستغلون مساقط المياه فى توليد قوة الكهرباء ؛ فاتسعت آفاق النفع وتعددت صوره وأشكاله . فإذا جئنا اليوم لنهرنا هذا — وأشار إلى النيل — وأردنا أن نفيد منه كما أفاد المتحضرون من أنهارهم ، ترانا نبحث عن المخترع الذى يجرى التجارب ، ويفنى العمر ليبتكر لنا نظام توليد الكهرباء من الماء ؟ ! أم ترانا نعمد إلى ما وصلوا إليه هناك فى الغرب من نتائج فى هذا السبيل ؟ !

قلنا : إذا كتب لنا التوفيق فنحن نطبق ما علمناه منهم

قال الإمام : كذلك أمر الرسالة المحمدية ... كانت البشرية فى فساد يتطلب علاجاً ... فجاءت نبوة محمد صلى الله عليه وسلم علاجاً ، وجاءت رسالته دواء ، فشرعت نظاماً وحققت نفعاً ، وقررت للعمران دستوراً مكيناً ، وأضاءت الشعلة المقدسة الباقية على الزمان ، وتركتها فى أمة الإسلام سراجاً منيراً ، ونظاماً قويماً ، تسعد ما استضاءت بنورها ، وتمسكت بعروتها ؛ وتشقى ما بعدت عنها وجاوزت حدودها . وظلت هى على الدهر وهاجة النور خالدة الضياء ... فإذا فسد أمر البشرية اليوم واختل نظامها وعادت إلى وثنية منحطة ، وضلت فى ظلام الرذيلة والشهوة والقسوة ... لم تكن فى حاجة إلى نبى جديد ... بل فى حاجة إلى عقل كهذا — ولوح بالكتاب — يعود بالناس إلى حيث يجدون الطبيب والدواء . وإلى ذهن خصيب موهوب يحسن مخاطبة العقول ، وإلى رأس يحسن الفهم والتقدير وعلك البيان بمثل هذه الروعة فى « عبقرية محمد » ... نبى جديد ؟ ! لعمر الحق أتسألون جادين أم هازلين ؟ !

قلنا : معاذ الجلال فى مجلس الإمام ! إنما هى قولة أرسلها قلم فى إحدى المجلات ...

قال الإمام : خلوا عنكم هذا ... وخذوا فيما أنتم بسبيله من هذا الجد الرصين . فإنما أنتم بصدد « عبقرية محمد » صلى الله عليه وسلم يصورها لكم « عباس محمود العقاد »

ونهض الإمام من مجلسه فقد آذنت صلاة العشاء .

(نجع حمادى) (فلما بقية) محمد حسنين هيكل

ظهرت الطبعة الثامنة من :

تاريخ الأدب العربى

للأستاذ أحمد حسن الزيات

وهو يمتاز عن كل ما ألف فى هذا الموضوع بقوة الأسلوب ، ودقة التحليل ، وبراعة المقارنة ، وسلامة الإيجاز ، وسعة الإحاطة ، وصحة الأسانيد

يقع فى حوالى ٥٠٠ صفحة ، ويباع بـ ٢٥ قـ

يطلب من ادارة الرسالة

ومن لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ومن سائر المكتبات الشهيرة

حكمت محكمة المنوفية العسكرية فى الجنحة ٣٥٢ سنة ١٩٤١ بحبس رتيبة عمارة يوسف من ميت خاقان مركز شبين الكوم عشرين يوماً بالشغل لبيعها ذرة بسعر أزيد من التسعيرة